

"الانهيار الاجتماعي والسياسي في لبنان وشروط النهوض"

بيت المستقبل

الجامعة اللبنانية، معهد العلوم الاجتماعية – الفرع الثاني - الرابية

٨ آذار/مارس ٢٠١٩

تركت عقود من الحروب والنزاعات والاضطرابات السياسية والأمنية آثارها على المجتمع اللبناني وبات يشهد اليوم تفسخات عميقة تبدأ بتفكك الأسرة وانعدام التناغم بين المكونات التي يتشكل منها، وصولاً إلى تنامي الانتماءات الفرعية من دينية ومذهبية ومناطقية على حساب الانتماء الوطني الجامع. وعلى الرغم من أهمية الإصلاح السياسي والإداري الذي يجري الحديث رهنأً عن انطلاق ورشتهما، فهما لن يستقيما دون ورشة موازية تعمل على تحقيق إصلاح اجتماعي يعيد للاجتماع اللبناني بعضاً من انسجامه المفقود، ويصحح الخلل الذي أصاب بنيانه على أكثر من صعيد.

إيماناً منها بالدور الريادي الذي تلعبه الجامعة الوطنية في استشراف المشاكل التي تعاني منها البلاد ومحاولة البحث الجاد عن حلول لها، عقدت مؤسسة "بيت المستقبل" بالتعاون مع معهد العلوم الاجتماعية - الفرع الثاني في الجامعة اللبنانية ندوة تحت عنوان "الانهيار الاجتماعي والسياسي في لبنان وشروط النهوض"، ناقشت جلستها الأولى موضوع "الانهيار السياسي وسبل النهوض" بإدارة الدكتور فادي الأحمر ومشاركة كل من معالي الوزير والنائب السابق الدكتور أحمد فتفت، ومعالي الوزير والنائب السابق الدكتور باسم الشاب والأستاذ نصري الصايغ. تناولت الجلسة الثانية موضوع "التدهور الاجتماعي وسبل النهوض" بإدارة الإعلامية نجاه شرف الدين ومشاركة الدكتور عدنان الأمين والدكتور زهير حطب والدكتور شادي رحمة. شارك في الندوة نخبة من الباحثين والأكاديميين ومجموعة من طلاب المعهد بحضور رئيس ومؤسس "بيت المستقبل" الرئيس أمين الجميل.

افتتح الجلسة الرئيس الجميل بكلمة أكد فيها أنه "عندما تنداعى أسس البيت تنهار جدرانه، وعندما تنداعى الأسس التي قام عليها الوطن تنتشظى معها الدولة وتنهار بكل مقوماتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فهل من المبالغة وصف المرحلة التي نعيشها بالانهيار؟ القصد ليس المزيد من الإحباط والتراجع بقدر ما هو الحث على التبصر بأحوالنا في وقت باتت فيه السياسة تطغى على أمور أخرى قد تكون أكثر أهمية وأشد تأثيراً على حال البلاد والعباد".

ومع تشديده أنه كان يفضل استخدام كلمة "انكماش" على انهيار في عنوان المؤتمر، اعتبر أن الاضطرابات السياسية التي شهدتها البلاد أدت إلى اهتزاز الاجتماع اللبناني ما ترك أثراً سلبياً على ترابط العائلة وهي اللبنة الأساس في تماسك المجتمع. وسلط الضوء على "أهمال التربية الذي جاءت عواقبه وخيمة طالت العقول والنفوس، وباتت الأجيال الصاعدة تقرأ في كتب

مختلفة تعزز الانتماءات الفرعية والعصبيات الضيقة على حساب الانتماء الوطني الجامع. فظهرت شقوق عميقة في المجتمع لا أبالغ إذ أقول إنها تهدد وحدة الكيان ووحدة الوطن".

ورأى أن الحل هو في "الحوكمة الرشيدة التي دونها لا سبيل إلى الخروج من النفق الذي نمر به منذ سنوات حتى بنتنا مثل أعمى يقود أعمى ويقعان معاً في حفرة".

وختم كلمته بالتأكيد على أهمية التعاون والتكامل بين مراكز الأبحاث، ومنها "بيت المستقبل"، والجامعة الوطنية، ليتواصل المجتمع الأكاديمي مع مجتمع الباحثين في سبيل محاولة إيجاد حلول للمشاكل التي تعاني منها "البلاد ووضعها تالياً على الطريق الصحيح".

أخذت المنصة مديرة معهد العلوم الاجتماعية - الفرع الثاني الدكتورة منى رحمة وقالت إن مهمة العلوم الاجتماعية تشبه إلى حد بعيد مهمة الطبيب، أي تشخيص أمراض المجتمع واقتراح سبل لمعالجتها. وأضافت أن المجتمعات تنهار عندما تضحي بالحرية، فتنهار معها مؤسساتها السياسية والاجتماعية والتربوية. وأكدت أن الحرية مرتبطة بالقيم، وكلما كانت قناعة الإنسان بقيمه عميقة كلما كان أكثر انفتاحاً لقبول قيم الآخرين، مشيرة إلى أن تعميم الأخلاق لا يُفرض على الآخرين بل يُناقش معهم. وتابعت أن السعي نحو الثبات الأخلاقي يبدأ بالاهتمام بالآخر، إذ لا يمكن لأحدنا احترام نفسه إذا كان لا يحترم الآخر ضمن منظومة اجتماعية عادلة.

أخذ الكلام رئيس الجامعة اللبنانية البروفسور فؤاد أيوب، وقال إن انتقاء مصطلح الانهيار لتوصيف أحوال المجتمع اللبناني هو اختيار صحيح ودقيق لأن الأوضاع السائدة في البلاد لا تبشر بالخير، وعلينا المبادرة إلى "رأب الصدع والتصويب". وأضاف أنه إذا استمر لبنان بتنظيمه البيروقراطي المشطى طائفياً وطبقياً ومناطقياً إلى قبائل سياسية ومذهبية تتناحر على السلطة، فإن الفساد سيستمر بالاستشرار وسيزداد التدهور باتجاه الانهيار التام". وأكد أننا تخطينا فساد الأشخاص ووصلنا إلى مرحلة تأصيل ثقافة الفساد، وهذا وضع يندر بالأخطر. وتابع أن حالة تفشي الظواهر السلبية في المجتمع وتعاضم الفساد والمفسدين في ظل غياب المعالجات الفعلية تدفعنا إلى رفع الصوت عالياً والتوجه إلى أصحاب الكفاءات والمعرفة للتفكير في السبل الناجعة لإنقاذ المجتمع، مرحباً بمشاركة المراكز البحثية ونخبة من السياسيين في هذه الندوة. وأعرب عن أمله باستمرار التعاون مع بيت المستقبل "ليصبح ممأسساً ومستداماً"، خاتماً كلمته بتأكيد إيمانه "بقدره هذا المجتمع وهذا الشعب الخلاق على إعادة بناء ذاته وبناء الوطن الذي نحلم باستقرار العيش فيه".

بدأت الجلسة الأولى تحت عنوان "انهيار السياسة وسبل النهوض" تحت إدارة الدكتور فادي الأحمر وبمشاركة معالي الوزير والنائب السابق أحمد فنتفت ومعالي الوزير والنائب السابق باسم الشاب والأستاذ نصري الصايغ.

قال الأحمر إنه في وقت يقف فيه لبنان على عتبة يوبيله الأول، يُفترض أن يشكل ذلك مناسبة للتوقف والتفكير فيما آلت إليه شؤون الوطن. "ولكن يبدو أن هذه المناسبة لا تعني أهل السياسة وهم منشغلون بنزاعاتهم وصراعاتهم الضيقة". وأضاف أن لبنان عاش حروباً كثيرة أبرزها الحرب الأهلية، وانتظرنا بعد انتهائها أن يبدأ بناء الوطن فكان بناء الحجر دون بناء البشر. وأكد أن الوصاية السورية لعبت دوراً سلبياً في هذا المجال، وتواصل الانهيار بعد الانسحاب السوري حتى "بات الدستور وجهة نظر، وباتت الدولة لا تملك قرار السلم والحرب وتطيقت الأحزاب كما الوسائل الإعلامية، ونشهد انقسامات دينية ومذهبية غير مسبوقة أصبح معها الانتماء للطائفة يتقدم على الانتماء للوطن". بعد ٢٩ عاماً على انتهاء الحرب و١٠٠ عام على قيام لبنان، "يتلهى أهل الحكم بإنجازات أقل ما يقال فيها أنها أضحوكة في ظل انعدام الخطط الاقتصادية والاجتماعية والمالية السليمة. الفساد والزبائنية هما القاعدة والهيئات القضائية غير مستقلة والادارة بالية واللائحة تطول". ومع ذلك، قال إن هذه المشهدية السوداء يجب ألا تدفعنا إلى اليأس أو الاكتفاء بتشخيص المرض إنما أيضاً محاولة وصف العلاج للشفاء، "وهذا ما نهدف إليه في ندوتنا هذه".

أخذ الكلام معالي الوزير والنائب السابق أحمد فنتفت، وأكد أن كلمة "الانهيار" قاسية لكنها للأسف كلمة صائبة للتعبير عما آلت إليه الأوضاع في البلاد مقارنة عما كانت عليه حتى في فترة الحرب الأهلية، حين كان الوضع أفضل على أكثر من صعيد لا سيما الاجتماعي والثقافي. وأضاف أن البلاد عاشت صراعاً اهلياً طويلاً والصراعات الأهلية لا تنتهي بمنطق عفا الله عما مضى بل بمصالحة وطنية، وهذه المصالحة لم تجر في لبنان كما لم تجر مصارحة وطنية لإعادة العلاقات الاجتماعية إلى وضعها السليم كما جرى مثلاً في أفريقيا الجنوبية. وتابع أن لعبة الحرب ما زالت مستمرة وإن كانت مستترة وبمواقع مختلفة للاعبين. قد يكون الطائف أعطانا بعض الحلول، "ولكن أطيح بها تحت عناوين مختلفة، ونرى اليوم أهل الحكم يحاولون لوم الطائف فيما أن المشكلة الحقيقية تكمن في بنيتنا السياسية التي لم تتحمل اتفاق الطائف بسبب عدم إجراء مصالحة بين مكونات الوطن الواحد".

من ناحية أخرى، قال إننا "لم نطور حياتنا الحزبية، ولا أبالغ إذ أقول إننا رجعنا إلى الوراء على هذا الصعيد، وأصبحت أحزابنا ذات صبغة عائلية وطائفية". وتابع أنه قبل عام ٢٠٠٥، "كان يوجد ضابط إيقاع قمعي هو السوري، وعندما رحل، عادت ظواهر الانشقاق إلى

الظهور بشكل فاقع". وعن كيفية الخروج من المأزق، أكد ضرورة طرح المواضيع بجرأة بعيداً عن أي هواجس ومخاوف للتوصل إلى مصالحة ومصالحة وطنية ناجزة"، مشدداً أننا نسعى إلى تحقيق "عيش واحد وليس عيش مشترك". وختم بالقول: "نحن في الشرق، وهي منطقة تأله السياسة، وليس من قبيل الصدفة أننا في أرض الأنبياء. يعيش محيطنا في ظل تصادم حضاري غير مسبوق وهو مرتبط فينا كما نحن مرتبطون فيه".

أخذ المنصة معالي الوزير والنائب السابق باسم الشاب، وبدأ كلامه مستشهداً بقول للباحث نديم شحاده يؤكد فيه أن "لبنان دولة فاشلة وهو أطول دولة فاشلة في العالم".

واعتبر أن المشكلة في لبنان هي في "بنيتة الفاشلة" وليست في الحرب أو أية أمور أخرى. وأوضح أن لبنان يعاني من مشاكل عدة أولها مشكلة الهوية وثانيها مشكلة انعدام المشاركة. وقال إنه على الرغم من أن اتفاق الطائف عزز المشاركة، "فنحن لسنا في الجنة ويقع لبنان الديمقراطي في محيط جَلّ أنظمتها هي أنظمة شمولية". واعتبر أن المشكلة الأساس في البلاد تكمن في وجود توجهين، واحد نحو الشرق وآخر نحو الغرب، وبدأت بوادر الصراع بينهما تظهر مع أحداث عام ١٩٥٨. واعتبر أنه في محصلة نهائية لهذا الصراع، انتصر التوجه الذي أخذ البلاد باتجاه الشرق، "والطرف الذي جر لبنان إليه لا يؤمن لا بلبنان ولا بالحريات ولا بالنظام البرلماني الديمقراطي". وتحدث عن الإزدواجية التي تنخر المجتمع اللبناني "القابع في الشرق والمتطلع دوماً إلى الغرب"، معتبراً أنه لا حل لمشاكلنا إلا بتصحيح موقع لبنان الذي انجرف كثيراً نحو الشرق، "وعلينا العودة إلى الموقع الأساس الذي اتفق عليه الرئيسان بشارة الخوري ورياض الصلح، مع التمسك بالصيغة البرلمانية الديمقراطية الحقة وإلا سننزلق إلى مصاف الأنظمة الشمولية".

أخذ الكلام الاستاذ نصري الصايغ وقال إنه للإجابة عن السؤال الذي تطرحه الندوة سيقسمه إلى قسمين: الأول "هل يمكن إيقاف الانهيار؟ نعم وذلك بالتسويات السياسية التي اعتدنا عليها في لبنان"، والثاني "هل من سبل للنهوض؟ والجواب هو كلا، لأن لبنان منذ ولادته أُعطي للطوائف وهو ليس للبنانيين. لا يستطيع اللبناني أي يكون لبنانياً في لبنان بل بإمكانه أن يكون طائفيًا".

وأضاف: "ما أريد التأكيد عليه هو أن لبنان قبل اتفاق الطائف كان يعطي الطوائف حقوقها وليس المواطنين. بعد اتفاق الطائف وبسبب عدم تنفيذه، لم تعد الدولة هي الحاضنة للطوائف بل أصبحت الطوائف هي الحاضنة للدولة، فقويت الطوائف بشكل فائض وأوصلتنا إلى مرحلة الانهيار السياسي والاجتماعي الراهنة، وضعفت الدولة إلى درجة لم تعد معها قدرة على

الوقوف على قدميها". وتابع: "أصحاب البلاد هم من أوصلوها الى هنا. نحن دمرنا البيت وكلما اشتدت سواعد الطوائف ازداد الانهيار". وأكد أن اتفاق الطائف هو المعبر الوحيد للوصول إلى الدولة المدنية والمجتمع المدني، مشيراً إلى أن المادة ٩٥ من الدستور تؤكد على علمانيته، أما ما يسمى بالميثاق الوطني فهو ليس وطنياً بل طائفياً.

وتوجه الأحمر إلى فتفت بالسؤال التالي: "هل الطائفية هي وحدها فعلاً المشكلة وهل إلغاؤها هو المدخل إلى الحل؟"

فتفت: "لا طبعاً. صحيح هناك العديد من البلاد التي تعاني من المشاكل نفسها التي نعاني منها وخرجت منها كقبرص مثلاً، أو بلجيكا التي عانت عام ٢٠١٨ من فراغ حكومي لكن العمل استمر بسبب وجود مؤسسات. اعتقد أن اتفاق الطائف هو الحل للخروج من الطائفية ولكن الطريقة التي طبق فيها أوصلتنا إلى العكس أي إلى تعزيز الطائفية. في وقت نص فيه الطائف على إنشاء مجلس دستوري تناط به وحده مهمة تفسير الدستور، وضع للأسف على الرف وبات أهل السياسة كل يفسر الدستور حسبما يشاء وحسبما تأخذه مصالحه لا سيما في أمور يوجد فيها نصوص دستورية واضحة. في انتخابات رئيس الجمهورية اعتمدنا الثلثين في خرق فاضح للدستور وأقر أننا جميعاً مرتكبين وشاركنا في التغطية على قرار سياسي ينافي الدستور. الفساد الأكبر في لبنان هو في عدم تطبيق القوانين إذ ترى بعض الوزراء الذين لا يطبقون قانوناً ما لأنه لا يعجبهم، كما في عدم الالتزام مثلاً بنتائج مجلس الخدمة المدنية في حال جاءت مخالفة للتوازنات الطائفية علماً أن الدستور أكد على علمانية الإدارة العامة. ليس هكذا تجري اللعبة المؤسساتية. نعمل من حيث ندرى أو لا ندرى على تكريس الطائفية سياسياً وإدارياً، والتمسك بالتوازنات الطائفية سيقودنا إلى الدمار الكامل".

الأحمر إلى باسم الشاب: "تحدثت عن توجهين في لبنان واحد نحو الشرق وواحد نحو الغرب، واعتبرت أن المشكلة هي في جر لبنان نحو الشرق علماً أنه جزء من الشرق بتاريخه وثقافته الإنسانية. هل تعتقد أن لبنان يجسد صراع الحضارات؟"

الشاب: "أولا اسمح لي بالإشارة إلى أن الطائفية ليست سيئة بالمطلق، وأحد أسباب الحرية في لبنان هو وجود الطوائف. الطائفية اعطت تمثيلاً للأقليات الأمر الذي لا نجده في دول أخرى من المنطقة واعتماد نظام الكوتا ليس خطأ. اليوم، يعمل الكثيرون على استنساخ الطائف كحل للأزميتين السورية والعراقية. المشكلة أنه لا يمكننا بأي شكل من الأشكال إنكار أن لبنان مرتبط حضارياً بالغرب، ومن أهم هذه الروابط هي الرابطين الثقافي والعلمي. عندما يتخرج طلابنا يتوجه معظمهم إلى باريس والولايات المتحدة أو أي بلد غربي آخر لاتمام دراستهم

الجامعية وليس إلى طهران أو الصين. الوضع المثالي بالنسبة لنا كלבنايين هو أخذ الأفضل من الشرق والغرب معاً، ولكن ما نراه اليوم في الشرق لا يسر لا على الصعيد السياسي ولا على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي ولا على الصعيد الثقافي والعلمي، وهذا الأهم. لا يوجد ازدهار في الشرق، وعلينا الخروج من هذه الإزدواجية لأن علاقتنا مع الغرب (Free Order World) هي علاقة عضوية، وعلينا المحافظة عليها وإلا سنخسر في العلم والثقافة والاقتصاد".

الأحمر إلى الأستاذ نصري الصايغ: لماذا اعتبرتم أن المشكلة الأساسية في لبنان هي الطائفية؟

الصايغ: "أنا أو من بالوقائع وليس بالمرتجى. الطائفية ليست مستوردة من خارج لبنان بل هي في صلب تكوينه واللبنانيون شعب طائفي. منذ نشأته وجد لبنان أولاً ككيان ماروني في جبل لبنان وبعدها وبسبب المجاعة، أضيفت إلى هذا الكيان السهول والوديان. السنة والشيعية رفضوا هذا الكيان أولاً، ثم دخل السنة إلى هذه التركيبة عام ١٩٣٦ كطائفة على قاعدة الحصاة التي ستكون لهم، فلم يتلبنوا بل تمورنوا. الشيعة بقوا خارج هذه التركيبة حتى جاء الإمام موسى الصدر، فدخلوها وتمورنوا بدورهم. ما فاقم هذا الوضع هو سماح قوة الانتداب للطوائف بالإمساك بملف تنظيم الأحوال الشخصية. نحن طائفيون بالأساس، والمشكلة هي في بنوية الطائفية التي دافعت عن وجودها حتى وصلت إلى القمة: ما نسمعه اليوم من شعارات كلبنان القوي والعهد القوي، لا تعني شيئاً سوى الطائفة القوية. الحل في لبنان سيبقى ضمن تسويات تجري بين الطوائف ولن يطبق اتفاق الطائف بسبب شراسة ومناعة الطوائف. اسمحوا لي أن أنهي بقصة سوداء: عمدت مع مجموعة من اللاطائفيين المواطنين أمثالي إلى شراء قطعة أرض لندفن فيها على قاعدة أنهم لم يسمحوا لنا بالعيش كمواطنين فلنختار على الأقل أن ندفن على اختلاف طوائفنا في مكان واحد كمواطنين. بعد أربعة أشهر جرفوا هذه الأرض وانكروا علينا حق إقامة مقبرة عليها. يلاحقوننا حتى النهاية، فهم لا يريدون حتى أن نموت كمواطنين".

الأحمر إلى فتفت: "هل تعتقد أن المصالحة الوطنية لو تمت كانت لتساهم في عدم الوصول إلى هذا الحال من الانهيار؟"

فتفت: "اعتبرنا أن الحرب انتهت وأن آلية اتفاق الطائف ستكون منتجة، ولكن لم تتم أي مصالحات حقيقية أو اعتراف من الجميع بالذنوب التي اقترفت. الطائفية تمنح للطوائف طمأنينة كاذبة وهذا الأمر يؤدي إلى صدام وليس إلى تكامل وانسجام. لا أوافق مع الصايغ على انعدام الحلول أمامنا، إذ لدينا دستور ممتاز وقوانين جيدة واتفاق الطائف، ولا بد من أن

يشعر المواطن في وقت ما أن هذه الطائفية التي تؤمن له الطمأنينة في ناحية ما، تضعفه في نواحي عدة لا سمياً بالنسبة إلى مستقبله. أعتقد أن الأمر يتطلب مصارحة حقيقية: لا أستطيع أن أكون مثالياً في موقفي وأرى أن المناصفة كما تتم اليوم هي صحيحة. فالديموغرافيا يمكن أن تنعكس، وقد انعكست في التاريخ أكثر من مرة، فلا ثوابت في السياسة ولا ثوابت في التاريخ. للأسف، القيود الطائفية قوية جداً بشكل يضطر معه إلى مسايرة المجتمع الطائفي. في مجتمعي مثلاً، وعلى الرغم من أنني مع الزواج المدني، أنا مضطر أن أقف ضده لأن الناخبين وقاعدتنا الشعبية ضده".

أخذ الكلام الرئيس **الجميل**: " اسمحو لي بأن أكرر ما بدأت به وهو أنني لا أرى انهياراً في البلاد إنما انكماشاً وهناك الكثير من الإيجابيات في تاريخنا. في الواقع، لم يجبر أحد الرئيسين الخوري والصلح على الميثاق الوطني بل اختاروه وكان خياراً جيداً لجهة تأكيده الرغبة في العيش الواحد. فترة الرئيس فؤاد شهاب أكدت على العيش الواحد واستكملت بالأمسدة والرقابة والحوكمة الرشيدة. هناك أمور عدة جيدة قد تحققت، والمجتمع التعددي يحفظ لطوائف معينة مراكز معينة كما في سويسرا، وهذا ليس بالأمر السيء. لنرى النصف الملائم من الكأس. أنا مطمئن وهناك عناصر إيجابية على الرغم من وجود الكثير من السلبيات التي لا أنكرها، ولعل أخطرها التدخلات الخارجية كما حصل عام ١٩٥٨ عندما تدخلت كل من مصر وسوريا في شؤوننا الداخلية وبعد هذا التاريخ الشواهد على هذه التدخلات لا تعد ولا تحصى. علينا النظر إلى لبنان بإيجابية أكثر لأن إنجازات عدة تحققت. اسمحو لي بكلمة أخيرة إلى الشباب: ظاهرة الربيع العربي اعطت صورة إيجابية عن الشباب وشكلت نقطة مفصلية في تحقيق نقلة نوعية لدى الشباب العربي. انحرف عن مساره وقمع بثورات مضادة، ولكنه كظاهرة لم يتوقف بعد وما يسمى بالمجتمع المدني ما هو إلا امتداداً للربيع العربي. على الشباب تحمل مسؤوليتهم، وللمجتمع المدني دور أساس في تحقيق تطلعاتهم والتغيير والتطور المنشودين وذلك عبر إلزام السياسيين بكل ما فيه مصلحة للبنان".

أسئلة الجمهور:

تمحورت أسئلة الجمهور حول المواضيع التالية:

- حق المواطنين ضمن نظام برلماني ديمقراطي بمعرفة خواتيم قضايا الفساد لا سيما المالية منها.
- كيفية الانفتاح على الغرب دون معاداة الشرق.

- كيفية الخروج من القمم الطائفي المسيج بأسوار من الكراهية مع انعدام الاختلاط بين الطوائف ومنح المادتين ٩ و ١٠ من الدستور الطوائف حقوق جمة تتعدى تنظيم الأحوال الشخصية لتصل إلى الإمساك بالتربية والتعليم.

- كيفية بناء إنسان جديد في ظل إعادة إنتاج ثقافة الطائفية.

- كيف نختم الماضي بعدالة انتقامية ونوجد أرضية صالحة لوضع كل المسؤولين عن الفترات السابقة أمام العدالة.

- المشكلة في لبنان هي في توجه المسلمين نحو الشرق والمسيحيين نحو الغرب وهذا ما منع بناء المواطنة والشعور بالانتماء الوطني.

- على السياسيين توجيه الرأي العام وليس الخضوع له حتى فيما ليس بمصلحة البلاد كما الأمر بالنسبة إلى رفض الزواج المدني.

الأجوبة:

الشاب: "لا يمكن المضي في عملية الإصلاح والرقابة في مجلس النواب غائبة. مرت الموازنة في لجنة المال النيابية في ٢٠ دقيقة أي بمعدل ٢٠ مليون في الدقيقة الواحدة! في رأيي أن اللجان النيابية لا تقوم بدورها بشكل سليم وعندما نعزز دور الرقابة في مجلس النواب أولاً ونعزز الأجهزة الرقابية نكون قد بدأنا السير على الطريق الصحيح في مسألة الإصلاحات". وتابع: "بالنسبة إلى الصراع اللبناني حول التوجه إلى الشرق أو إلى الغرب فهو موجود منذ آلاف السنين من أيام الصليبيين والعثمانيين ولطالما كان يوجد انسجام ثقافي بين المسيحيين والغرب وبين المسلمين والشرق. ولكن على الشعوب أن تكون قادرة على معرفة الأفضل لها وفقاً للنماذج المقدمة إليها. للأسف لا يحصل ذلك دوماً وقد يختار الشعب ما لا يصب في مصلحته كما جرى في الولايات المتحدة عندما انتخب ترامب رئيساً. وهذا ما يجري اليوم في بلادنا عندما جُرت نحو الشرق".

الصايغ: "بالنسبة إلى موضوع إلغاء الطائفية أكرر أن الوقائع تختلف عن الكلام أو عن المرتجى. منذ نشأة لبنان إلى اليوم، وحتى في خلال عهد الرئيس شهاب، لم تحدث أي خطوة بهذا الاتجاه، واستذكر قولاً للرئيس شهاب: "أرى في لبنان بقعاً من الدم لأنني لم استطع أن أمس الطائفية السياسية". اللبنانيون منقسمون على قاعدة الطائفية وليس على قاعدة المصالح، واسمحوا لي بالإشارة إلى أن التعددية في لبنان تختلف عن تلك الموجودة في سويسرا أو في بلجيكا. طائفيتنا بنوية موجودة داخلنا وفي أعماقنا".

فتفت: "أوافق من قال إن على السياسي قيادة الرأي العام والقاعدة الشعبية. ولكن في الوقت عينه لا نستطيع تجاهل ميول هذه القاعدة وبعض الأمور تحتاج إلى فطنة وحكمة ونفس طويل كي تتحقق. أذكر أنني عندما كنت أناقش قانون الانتخابات الذي عرف بالقانون الأرتوذكسي مع الرئيس الجميل والنائب سامي الجميل، قالوا لي أنهم لا يستطيعوا تجاهل رأي القاعدة الشعبية وهذا ما يفعله السياسي وإلا ابتعد عن الناس وعن همومهم".

بدأت الجلسة الثانية تحت عنوان **"التدهور الاجتماعي وسبل النهوض"**، بتأكيد منسقتها الإعلامية **نجاهة شرف الدين** على أهمية الموضوع لا سيما وسط الخلاف بين المحاضرين على صحة استخدام كلمة انهيار لتوصيف الواقعين الاجتماعيين والسياسيين في لبنان. وسألت إذا ما كان التدهور الاجتماعي يشمل التدهور الأخلاقي والقيمي وماذا يعني ذلك وما هي مظاهره في سلوكنا، وإلى أي مدى يرتبط التدهور الاجتماعي بالتدهور الاقتصادي والسياسي وما هو دور التكنولوجيا الحديثة وهل ما يحدث هو فعلاً تدهور أم تطور باتجاه جديد.

أخذ الكلام الدكتور **عدنان الأمين**، معتبراً أن وراء استخدام كلمة انهيار خلفية ما لأنها تدخل في سياق اللغة المسيسية، موضحاً أنه "كلما أصيب طرف بالإحباط السياسي، يستعمل كلمات دراماتيكية، وكلما حقق نجاحات تتغير اللغة. أطلب من الحاضرين التأمل جيداً في المعنى الاجتماعي للاستخدام اللغوي، لأن الكلمة عندما تكون مضخمة تصبح تعبيراً عن انفعال وليس عن فكرة وتهدف إلى إضعاف الجانب المعرفي".

وتحدث عن أربعة مجالات هي الأخلاق والاجتماع والسياسة والاقتصاد وفق ترتيب يبدأ بالأحسن وينتهي بالأسوء. وقال إن الأفضل في لبنان هو الأخلاق، فلا يوجد انهيار أخلاقي ويعود السبب إلى الشحنة الدينية والعائلية الموجودة في المجتمع. وبخلاف ما يعتقد البعض، المجتمع اللبناني مجتمع قوي وديناميكي وفيه حراك مدني وهيئات ونقابات ومنظمات غير حكومية فاعلة، أما الجهة الضعيفة فهي الدولة. وبخلاف ذلك، نجد المجتمع السوري مثلاً ضعيفاً بينما الدولة في سوريا قوية. وأضاف أنه عندما احتلت سوريا لبنان، فهي سيطرت على الدولة اللبنانية وليس على المجتمع اللبناني لأنه ديناميكي، ولا يوجد مثله بين المجتمعات العربية. وأضاف أن المشكلة في لبنان تكمن في السياسية، ونعيش منذ السبعينات وحتى اليوم في سلسلة من النزاعات والصراعات بين القوى السياسية والدورة الآتية هي حلقة من هذه السلسلة لأن مصالح السياسيين تتطلب ذلك، لكن هذا الأمر لا يعني أن البلد ينهار. وتابع: "ما أود الإشارة إليه في هذا السياق هو الثقافة السياسية، وهي الحلقة التي نلتقي بواسطتها مع الدولة وهي التي تعيننا كموضوع جوهرى يستحق أن نناقشه كمتقنين. من يؤيد الطائفية في لبنان؟ لا أحد، فكيف تكون ولا أحد معها؟؟ طريقة التفكير في الثقافة السياسية تقوم على

عنصرين: الأول الانطواء ضمن الجماعة والتلطي بها، والثاني الإزدواجية. فعندما نجلس في مكان عام ندافع عن القانون ونهاجم الفساد، وفي الواقع نحن الذين نتحاصص في كل شيء. نهاجم السياسيين ونلقي خطاباً ضدهم ونحن الذين انتخبناهم".

توالى على الكلام الدكتور زهير حطب، وقال إن مداخلته تعتمد على مؤشرات ميدانية ناتجة عن دراسات حلقية قمت بها مع طلابي، أو مستوحاة من دراسات جديدة أخرى.

وأضاف: "هدف كل مجتمع هو إقامة الانتظام الاجتماعي، أي أن يعيش الفرد بسلام ويشعر أنه مشارك في المجتمع (وهنا لا اتكلم عن الدولة بل عن المجتمع). الشعور بالانتماء الاجتماعي يقوم على الترابط بين خمسة عناصر: السكان، العائلة، والايديولوجية التي يعتقدون بها، إنتاجية السكان ومستوى معيشتهم، والبيئة التي تحيط بهم.

بالنسبة إلى السكان قال إن من أكبر التغييرات التي عرفها لبنان هي التغيير الذي طرأ على بنيته السكانية. منذ عام ١٩٧٥ بدأ انهيار البنية السكانية في لبنان، ونحن اليوم في ظل بنية سكانية تختلف عن تلك التي كانت سائدة قبل هذا العام. وأعطى مثلاً حول منطقة رأس النبع، حيث جرت عام ١٩٧٥ دراسة ميدانية حول بنية سكانها أظهرت أن نحو ٤٥% منهم مسيحيون يقيمون بالقرب من طريق الشام، فيما النسبة الباقية هي للمسلمين السنة مع وجود أقلية من الدروز والشيعية. عام ١٩٩٠، أي بعد انتهاء الحرب، أجريت الدراسة نفسها وأظهرت نتائجها أن ١٠% فقط من سكان المنطقة مسيحيون وهم من ملاك المباني، و ٩٠% ينقسمون بين ٦٠% شيعة و ٣٠% سنة. "هذا نموذج لكيفية تغير تركيبة السكان في منطقة ما".

وأعاد أسباب هذا التغيير في التركيبة السكانية إلى الوضع الأمني والهجرة من البلد ككل. اليوم، يوجد بنية سكانية مستقرة نوعاً ما، لكنها مختلفة عن التي كانت موجودة قبل الحرب. وأردف أن أحداً لم يتكلم عن العوامل الخارجية المؤثرة على الوضع اللبناني وهي مهمة جداً لأن الانقسام العمودي بين السكان يعود إلى خلافات خارجية تلقي صداها في الداخل ليأخذ النزاع طابعاً محلياً، مؤكداً أنه لا انفصامات فعلية بين اللبنانيين أنفسهم.

بالنسبة إلى العائلة قال إنها ليست مجرد شعارات بل نتيجة لمعطيات المجتمع والسلطة والدولة: هل نريد تعزيز وجودها أم تفكيكها؟ وأضاف أنه حتى اليوم الكلام على المستوى السياسي في لبنان كان لتعزيز العائلة، وما الطائفية إلا انعكاساً لهذا التماسك العائلة. فالعائلة كيان مهم جداً وإذا أبقينا هذا التجمع موحداً يتمكن السياسي المحنك من الإفادة منه.

شرف الدين: دكتور حطب الوقت انتهى، علنا نستكمل رؤيتكم خلال النقاش.

أخذ الكلام الدكتور شادي رحمة، وقال إن استخدام كلمة انهيار في عنوان الندوة عله جاء من باب التحذير والإنذار، وهذا أمر سليم إذ علينا التنبه إلى الإنذارات في مجتمعنا.

وأضاف أن الاعتراف بالواقع المؤلم الذي نعيشه هو الخطوة الأولى باتجاه السيطرة عليه، وعندما نرفض الاعتراف به تطوف ظواهر الغضب على السطح وما أكثرها في بلادنا، بدءاً من قيادة السيارة وطريقة حديثنا وصولاً إلى البرامج التلفزيونية لا سيما الفكاهية منها. الغضب بارز جداً في سلوكنا، وهو يعني الانسحاب والتوقع. يتحدثون عن مشكلة الهجرة في لبنان وهذه مشكلة حقاً، وتكون في محلها عندما يهاجر المواطن بحثاً عن علم أو فرص اقتصادية. ولكن الخطر يكمن عندما لا يكون هناك أي سبب موضوعي للهجرة ومع ذلك يهاجرون، يهاجرون لأنهم غاضبون. قال الدكتور الأمين إن القيم في لبنان ليست في خطر وأنا أخالفه الرأي، لا سيما عندما نرى نسبة الارتفاع في حالات الطلاق وعدد الأطفال الذين يتأثرون سلباً به. هؤلاء الأطفال يعيشون حالة من الغضب وهذا الغضب سينفجر في وقت ما وفي مكان ما. الحالات التي تدل على تدهور القيم تعود لمواطنين وليس لأجانب أو نازحين. المثل الثاني على انهيار القيم هو في عدم الاعتراف بمشاعر الآخر. في لبنان ثمة طرفان يأخذان من المقاومة اللبنانية شعاراً ومساراً، واللافت أن كلاهما لا يعترف بشهداء الثاني، أي لا يعترف بمشاعر الثاني وهنا تكمن الخطورة. الشعور بالآخر يعني أن أشعر بألمه حتى ولو لم اتفق معه بالمنطق. وحتى اليوم لم يعترف كل طرف بوجع عائلات شهداء الطرف الآخر وإذا لم يتم ذلك لن يكون لنا تاريخ مشترك. وتابع: "علينا البحث عن الهوية وعلينا البحث في تركيبتها لكي نرى ما هي العوامل المنهارة فيها. السؤال عن حاجاتنا مشروع، ولكن علينا أيضاً أن نسأل ماذا يحتاج محيطنا منا؟ وإلى أي مدى نحن قادرين على إعطاء الآخرين والشعور بوجعهم ومشاركتهم فرحهم وتحديد حاجاتهم. لا نستطيع الحديث عن مجتمع إذا لم نستطع معرفة حاجات الذين يحيطون بنا. علينا المبادرة ببناء علاقات مع الآخر المختلف والبحث عنه لنعطيه أشياء كثيرة ونأخذ منه الكثير. ومن هنا نبدأ بالنهوض".

شرف الدين: ثمة وجهات نظر مختلفة وأخرى متكاملة. سؤال إلى دكتور الأمين: تقول لا يوجد تدهور اجتماعي وعائلي. إلى ماذا استندت لتقول ما قلته؟ هل قيم المجتمع الوطني اللبناني هي المحمية أم قيم المجتمع الطائفي الضيق؟

الأمين: "تحدث الدكتور رحمة عن غضب أنا شخصياً لا أراه، بل أرى مطاعم وحفلات ومهرجانات وفرح ومرح. العائلة في لبنان بخير والطلاق لا يعني أن العائلة انهارت ولا هو دليل تدهور اجتماعي ولا هو بالأمر السيء. الطلاق حق يمارسه الإنسان وغالباً نطلق لنبدأ

بناء عائلة جديدة. العائلة في لبنان قوية لأنها ضد الطائفية، المشكلة تكمن في ذواتنا وفي كيفية رؤيتنا للأمور".

شرف الدين: "أكيد الزواج والطلاق أمران لهما علاقة بالحياة الشخصية. سؤالي إلى الدكتور حطب: لما تصرون أن السياسة هي السبب الرئيس في التدهور الاجتماعي والقيمي؟"

حطب: "نجل الموضوع ونقول إن السبب هو السياسة، ولكن الواقع السبب هو في السلطة. السياسة تريد أن تلغي السلطات الأخرى وتريد أن تصبح كل شيء. أقوى سلطة في البلد هي السلطة الدينية الممسكة بالأحوال الشخصية والتربوية، وهي بيد السلطة السياسية. ما يجري من تطور هو غير طبيعي، لأن عوامل التغيير والتأثير تأتي من الخارج وتضغط على المجتمع بآليات استقوائية. لا يوجد خطر إذا تركنا الأمور على حالها، لأن التطور الطبيعي سيأتي لا محالة رغماً عن إرادة الجميع. صحيح أن التكنولوجيا تعزل من جهة لكنها من جهة أخرى تقوي الروابط الاجتماعية. لا مناص ولا مهرب من فكرة التغيير، والتغيير اذا لم نقم به إرادياً سيفرض علينا بالقوة وستكون كلفة ذلك مرتفعة جداً. أهم نقطة للنهوض بالمجتمع هي في الاختلاط السكاني في الأحياء، أي أن يسكن في المبنى نفسه عائلات من مناطق وطوائف مختلفة. هناك عبء على طلاب اليوم للمتابعة وليس للمواجهة وإضعاف قواهم الحية في صراعات جانبية".

شرف الدين: "كيف يحصل ذلك في ظل التغيير الديموغرافي الذي تحدثت عنه؟"

حطب: "الموضوع اليوم مرتبط بعوائق أمنية. الحل يبدأ بتشجيع الاختلاط في الإقامة بأحياء واحدة كما تشجيع الزواج المدني. الزواج المختلط بين السنة والشيعة كان نحو ١٥%، اليوم تراجع جداً وعدنا إلى الاختلاط ضمن العائلات الكبرى. إلغاء الطائفية السياسية أضحوكة عندما تكون العائلات من مشارب مختلفة لا تختلط، والاختلاط يبدأ بالسكن وذهاب الأطفال إلى مدارس واحدة".

شرف الدين إلى رحمة: "اليوم يوم المرأة. برأيكم ما هو موقع المرأة في هذا التدهور الاجتماعي؟ هل هي ضحية هذا التدهور أو مشاركة فيه؟"

رحمة: إذا كنت أؤمن بالمساواة القانونية بين المرأة والرجل لجهة التمتع بالحقوق والواجبات نفسها، فأنا لا أؤمن بالتطابق بين الاثنين لأن المرأة تبقى امرأة والمجتمع بحاجة إليها كمرأة والرجل يبقى رجلاً والمجتمع بحاجة إليه كرجل. لكل منهما دور مختلف بدءاً من العائلة، والطفل بحاجة إلى الاثنين معاً، كل بما أعطته إياه الطبيعة إذ صورة كل منهما مختلفة".

وتابع: "أخالف الدكتور أمين بالنسبة إلى الطلاق، فالطلاق عندما يكون حالة جماعية يصبح مشكلة اجتماعية لأن نتائجها على الفرد الذي يشكل المجتمع قد تكون أحياناً كارثية. صحيح أن الطلاق حق ويتعلق بالحياة الشخصية، لكنه يعني بطريقة ما الانسحاب والتوقع وعدم مواجهة المشاكل والمشاكل جزء من الحياة. كما في العلاقات الاجتماعية الحل في العلاقات الثنائية هو في الانفتاح على الآخر وعلى مشاعره. نحن بحاجة إلى الذكاء العاطفي بيننا وللمرأة دور أساس وفعال فيه".

وفي كلمة له، أكد الرئيس **الجميل** على أهمية المداخلات مؤكداً أن الحديث عن النزاعات والصراعات أمر جيد لنتمكن من تخطيها ولكن علينا التركيز أكثر على القواسم المشتركة بين مكونات المجتمع اللبناني. وقال: "على الرغم من كل ما مررنا به بقي المجتمع اللبناني ولا بد من وجود شيء ما ساعد على بقائه متماسكاً وعلينا البحث عنه وبلورته وتعزيزه".

أسئلة الجمهور:

تمحورت أسئلة الجمهور على المواضيع التالية:

- كيف يمكن تخطي الطائفية في ظل قوانين طائفية وسياسيين طائفيين؟.
- ألا يجب علينا البدء بإلغاء الطائفية من نفوسنا قبل أن نلغيها من النصوص لنتمكن من التعامل مع بعضنا كمواطنين؟
- سؤال للدكتور رحمة: ما مفهومك للمرأة الحرة؟ النساء لم تطالبن يوماً بالمساواة مع الرجال بل بالمساواة معهم بالحقوق الاجتماعية والسياسية.
- أين الحد الفاصل بين الدين والطائفية وكيف يمكننا منع تحول الحرب على الطائفية إلى حرب على الدين؟ وكيف يمكن أن يساهم الدين كمحبة بالقضاء على الطائفية؟.
- لم يتطرق أحد إلى وجود حزب الله الذي اعتقد أنه يهدد الكيان والاجتماع. هل يمكننا كطوائف أخرى السكن في ضاحية بيروت الجنوبية في ظل وجود حزب الله؟ وما هو مستقبل الفروع الثانية في الجامعة اللبنانية؟

- تحدثنا كثيراً عن الانهيار ولكن لم نتحدث عن شروط النهوض. هل بإمكان المحاضرين اختصار وجهة نظرهم في هذا الموضوع: كيف السبيل إلى الخلاص؟

الأمين: "الدين شيء والطائفية شيء آخر وهي أمر سياسي تدخل في إطار ما سماه ابن خلدون بالعصبية. المشكلة في الطائفية ليست في الدين ولكن في رجال الدين الذين يتبعون السلطة

السياسية. بالنسبة إلى القواسم المشتركة بين اللبنانيين، لا اعتقد ان الاختلاط يجب أن يكون في السكن كما قال الدكتور حطب، ولكن يجب أن يكون ضمن العملية التعليمية وللأسف هذا الأمر لا نراه إلا في الجامعة الأميركية في بيروت. أما الجامعة الوطنية أي اللبنانية فلا اختلاط فيها ولهذا كانت الفروع".

حطب: "إن الخوف من التصادم والمواجهة بين الدين والطائفة مبرر لأن سلوكية استخدام الدين لتقوية الطائفية موجودة في البلد. إن موجة رفض الزواج المدني تأتي من رجال الدين وبرأيي أن عقد الزواج الإسلامي هو عقد تعاقد مدني. اليوم بعد ١٤٠٠ سنة نعطي بموجب العقد سلطة الوصاية للزوج وتعطى الأولوية له، ومقابل ذلك جعل الرجل مسؤولاً عن الانفاق. نسبة عمل المرأة اليوم أكبر من الرجل والمرأة تنفق على منزلها أكثر من الزوج هي تشعر أنها تستغل ليس في موضوع الزواج فقط ولكن في معيشتها أيضاً حيث تخضع لمشيئة الرجل. الزواج المدني يضع هذا الأمر في يد الاثنين. الأديان وجدت لتؤمن الكرامة الإنسانية من وجهة إلهية. النساء مغبونات بالزواج الديني والزواج المدني يحسن وضعهن. ليجد رجال الدين سبلاً للزواج لا تؤدي إلى مآسي. الزواج المدني شرط للنهوض، والسكن المختلط ضروري وهذا ما خفف التوتر في ماليزيا (في القانون حوافز لمن يختار السكن في بناء مختلط).